انتماءُ العلامةِ الآصفي لتفسيرِ القرآنِ الكريم

ضرغام شنيت جابر العبيد
د. فاطمة دسترنج / جامعة آراك

Allama Al-Asfi's affiliation to the interpretation of the Holy Quran

Dargham Shanit Jaber Al-Obaid
Dr. Fatima Dastreng / Arak University
Email: f_dastrang@araka.ac.ir

ملخص البحث

الحمد لله الذي أنزل القرآن الكريم، وجعله تبيانا لكل شيء ورحمة وهدى للمتقين، والصلاة والسلام على المصطفى الأمين أبي القاسم محمد وعلى الهداة الميامين من آله الطاهرين.

وبعد، إنّ القرآن هو المصدر الرئيسي في التشريع الاسلامي وأقدس كتاب لدى المسلمين على شتى مذاهبهم، وبه ثبتت نبوة نبينا صلى الله عليه وآله، وهو معجزة الاسلام الخالدة، وهو المصدر الوحيد " القطعي الثبوت " باتفاق المسلمين وإجماعهم، لم تطاله يد التحريف ولم تطرأ عليه زيادة أو نقصان، ومع كل ذلك فهو الكتاب المهجور الذي غفل عنه المسلمين وراحوا يلهثون وراء الأفكار الدخيلة التي هي أبعد ما تكون عن توفير حلول ناجحة لمشاكل الإنسانية ، ولا غرابة إذا قلنا: إنّ السبب الرئيسي في انحطاط المسلمين هو اهمالهم قيمة هذا الكتاب وما حواه من ثروات تشريعية وأخلاقية ، تكفل سعادة الانسان إلى نهاية الشوط. فضلًا عن أنّ التعرف على القرآن الكريم له دور كبير في فهم العلوم الإلهية، واستخراج الاحكام والقوانين الاسلامية العامة التي تعدّ حجر الأساس في صرح الدولة الاسلامية ، حيث تناولت الدراسة مرجعية العلاّمة الآصفي في التفسير والأحكام للقرآن الكريم ، الذي يعد من العلماء المجتهدين في الحوزة العلمية وقد ترك آثارًا علمية في الفقه والأصول والتفسير، يعدّ العلامة القرآن نور لا يحتاج إلى نور يكشف عنه وهو برهان قائم بذاته ولا يحتاج إلى برهان لاتباعه ، وهو بنفسه بيان وبرهان ويقول القرآن لا يحتاج إلى شيء آخر ليفسره ، وفي الفصل الثاني أكد البحث على ضرورة التأمل والتدبر في القرآن واستخراج معارفه ومعانيه، فالذي يقودنا إلى معرفة الله هو العقل والتفكير بآيات الله سبحانه وتعالى، والتطرق إلى منهج العلامة الآصفي في تفسير القرآن.

الكلمات المفتاحية : القرآن، الكريم، الآصفي، انتماء، العلاّمة .

Abstract

Praise be to God, who revealed the Noble Qur'an، and made it a clarification of everything, mercy and guidance for the righteous. And prayers and peace be upon the faithful Mustafa, Abu al-Qasim Muhammad، and upon the faithful guides of his pure family.

And after، the Qur'an is the main source in Islamic legislation and the holiest book among Muslims of all their sects، and with it the prophecy of our Prophet، may God's prayers and peace be upon him and his family، was confirmed. Plus or minus، despite all that، it is the abandoned book that Muslims neglected and started chasing after extraneous ideas that are far from providing effective solutions to humanity's problems. It is not surprising if we say: The main reason for the decline of Musli.

Keywords: The Qur'an, the Holy One, Al-Asfi, Enti'ma, Al-Allamah.

المبحث الأول

دراسة خصائص القرآن الكريم

تعريف القرآن الكريم

تعريف القرآن لغةً :

المختار من لفظ القرآن من حيث اللغة أنّه مصدر قرأ على وزن فعلان والرجحان فهو بمعنى القراءة ، وهمزته أصلية ونونه زائدة فإذا حذفت همزته كان على وجه التخفيف ، والكتاب الكريم تسمية للمفعول المصدر ، وهذا القول الجدير بالقبول ؛ لخلوه من التكليف وجريانه على أسلوب مألوف في اللغة ، ويشهد لكونه في اللغة مصدر بمعنى القراءة ورد القرآن بهذا المعنى[١] لقوله تعالى: "ولا تحرك به لسانك لتعجل به أنا علينا جمعه وقرآنه فإذا قرآناه فأتبع قرآنه"[٢].

والقرآن اسم ليس بمهموز لكتاب الله مثل التوراة والإنجيل[٣]

القرآن اصطلاحا وشرعًا :

يعرَّف القرآن بأنّه كلام الله المنزل على محمدﷺ والمعجز بسورة منه ، والمتعبد بتلاوته المكتوب في المصحف المنقول إلينا بالتواتر بين دفتي المصحف ، والقرآن هو كلام الله القائم بذات الله تعالى ، وما نقل إلينا بين دفتي المصحف تواترًا [٤] المدون بين دفتي المصحف المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس[٥].

(١) البيان في مباحث من علوم القرآن، غزلان (عبد الوهاب عبد المجيد)، دار التأليف، مصر، ٢١.
(٢) سورة القيامة ، الآيات : ١٦-١٩
(٣) موجز في علوم القرآن، العطار (داود)، دار الأعلمي، بيروت، ١٩٩٥، ط٣، ١٥
(٤) المستصفى من علم الأصول، الغزالي (محمد بن محمد)، تح، أحمد زكي حماد ، د. د، د. م، ٦٥
(٥) الإسلام عقيدة وشريعة، شلتوت (محمود)، دار العالم العربي، د. م، ٢٠١٨، ٣٩٩

خصائص القرآن عند العلامة الآصفي:

١- القرآن هو الصراط : القرآن هو صراط الله الذي رسمه لعباده والذي يوصل الإنسان إلى الله تعالى ويتطابق بشكل دقيق مع فطرة الإنسان فهو صراط قيّم ومهيمن على شؤون الإنسان وينظم جوانب حياتهم فلا يهمل منه شيئًا [١] .

ويقول الله تعالى في صفة القرآن . " إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا"[٢]

والقرآن هو كلام الله العظيم وصراطه المستقيم ورسالته الخالدة ، ولا يوجد من وصف القرآن مثل أمير المؤمنين بقوله : " واعلموا أنّ هذا القرآن الناصح الذي لا يغش والهادي الذي لا يضل والمحدث الذي لا يكذب وما جالس أحد هذا القرآن إلا قام عنه بزيادة ، أو نقصان بزيادة في هدى و نقصان في عمى[٣] .

٢- القرآن نور وبرهان :

إنّ القرآن الكريم صراط الله الذي يخرج الناس من الظلمات إلى النور فهو نور وبرهان في حياة الناس ، ولا يحتاج إلى نور وبرهان لكي يهتدي به الناس إذا حكموا فطرتهم في الاختيار والاهتداء ، وإذا فتحوا قلوبهم وصدورهم لكتاب الله فهو نور لا يحتاج لشيء آخر ليكشف عنه ويتطابق مع الفطرة الإنسانية فيجد الإنسان مرآته فيه وإذا انحرف عن القرآن سقط لا محالة في الضلالة[٤] .

وقد وافقه الشاطبي حين قال لا يخفى فضل القرآن على من لديه أدنى علم شرعي ؛ ذلك أنّ القرآن كلية الشريعة وعمدة الملة وينبوع الحكمة ، وآية الرسالة فالطريق إلى الله تعالى لا يتم بغيره ولا نجاة بسواه[٥] .

(١) وعي القرآن، الآصفي (محمد مهدي)، دار القرآن الكريم، قم، ١٤١١ه، ط١، ٧
(٢) سورة الإسراء ، الآية : ٩
(٣) نهج البلاغة، تح، محمد عبده، دار الكرم، دمشق، ٩١
(٤) وعي القرآن، الآصفي، ١٠
(٥) الموافقات ، الشاطبي (ابراهيم بن موسى)، تح ، بكر بن عبد الله، دار ابن عفان، القاهرة. ٣٤٦.

٣- القرآن مأدبة : يحتاج الإنسان في حركته إلى الله إمداداً متصلاً وغذاء ، وهذا الإمداد هو الحاجة إلى المصادر والأوعية التي تمنح الإنسان الحركة وهي ثلاثة أقسام أولًا : العقل والقلب والفؤاد ، وثانيًا : الإرادة والعزم ، وثالثًا : نفس الإنسان للتحكيم بها وذلك أن العوامل في نفس الإنسان ليس من النوع الأول فقط بل هناك عوامل أخرى كالفجور والشهوات فلا بد من نفس الإنسان من موضع التحكيم والفصل وهو الضمير، فالنوع الأول يتعلق بالبصيرة والوعي ، والثاني على القوة الباعثة واستعداد القبول فالقرآن هو الغذاء الرباني للإنسان وعليه ، قال الرسول : "القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبة الله ما استطعتم"[١] .

فالصراط المستقيم يحتاج فيه الإنسان لكثير من الدقة باجتياز مرحلة التكليف والحكم وقد يصعب فيحتاج الإنسان لكثير من الصبر والعزيمة والقوة حتى يجتازه[٢] .

٤- القرآن أداة لشرح الصدر: كان أمير المؤمنين علي ﷺ يقول إذا ختم القرآن: "اللّهُمّ اشرح بالقرآن صدري واستعمل بالقرآن بدني ونور بالقرآن بصري وأطلق بالقرآن لساني"[٣]

فلكي تدخل معاني القرآن ومفاهيمه الربانية صدور الناس لابد أن تتسع الصدور له وتستوعبه ، وجاء في دعاء العبد الصالح سيدنا موسى ﷺ في القرآن : " ربي اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي"[٤] .

وكان الإمام علي زين العابدين السجاد ﷺ يقول :" وفرقانا فرقت به حلالك وحرامك، وكتابا فصلته لعبادك تفصيلا ، وميزان قسط لا يحيف عن الحق لسانه "[٥].

٥- القرآن يخصب القلوب :

لأن القلوب إذا استنارت بالقرآن وأخذت هداها من مائدة القرآن أثمرت ، فالقلوب

(١) وعي القرآن، الآصفي، ١٣
(٢) المذهب التاريخي في القرآن، الآصفي، المشرق للثقافة والنشر، النجف الأشرف، ٢٠٠٩، ط٤، ١٢٥
(٣) بحار الأنوار ، المجلسي، دار ٬ احياء التراث، د. م. ٢٠٩
(٤) سورة طه ، الآيات : ٢٠..٢٧
(٥) الصحيفة السجادية، منشورات دار الكرم، دمشق، دعاء رقم ٤٢

التي تأخذ من القرآن تعطي ثمارا طيبة في حياة الإنسان وهي اليقين والإخلاص وحب الله ، ويقول أمير المؤمنين في صفة القرآن " جعله الله ريا لعطش العلماء وربيعا لقلوب الفقهاء"[١].

وما جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم " أذا أردتم عيش السعداء وموت الشهداء والنجاة يوم الحشر والظل يوم الحرور والهدى يوم الضلالة فادرسوا القرآن"[٢] .

٦- القرآن يخص المؤمنين والموقنين :

والعجب أنّ القرآن يختص بالموقنين والمؤمنين بهذه البصائر والمواعظ ، وإنّ هذا التخصيص ليستوقف الإنسان فإذا انغلق الإنسان على كتاب الله لا ينفعه وإنما يتبع الإنسان هذا الكتاب ويستنير به ويأخذ منه الموعظة والهدى والبشرى ، أما الذين يواجهون كتاب الله بالإغلاق والإعراض فسوف يزيدهم شقاءً[٣] .

٧- القرآن عصمة وكفاية :

يتعرض الإنسان في الحياة الدنيا لاحتكاك دائم بعوامل الفساد والتخريب ؛ لأنّ الإنسان سريع التأثير وضعيف المقاومة ويقول الله تعالى: "وخلق الإنسان ضعيفا" [٤] .

فالهوى ضاغط من داخل النفس الإنسانية يجره نحو المغريات ويجذب النفس نحو الشهوات والشيطان يلعب دورا وسيطا في ذلك ؛ ولذلك أنّ القرآن يحفظ الإنسان من الوقوع في المهالك والمحذورات ويقول الرسول الأكرم في صفة القرآن: "عصمة من الهلكة ورشدًا من الغواية وبيان من الفتن"[٥] .

وكذلك أنّ حدود الله هي المساحة التي ينصرف فيها الإنسان عن المطاعم والمشارب والمناكح ، والتصرف في الأموال والثروات فيبين الله الحلال من الحرام وما يحل وما لا يحل

(١) وعي القرآن، الآصفي، ١٧ .
(٢)بحار الأنوار ، المجلسي، ١٩٠
(٣) وعي القرآن، الآصفي، ١٨ .
(٤) سورة النساء، الآية : ٢٨ .
(٥) وعي القرآن، الآصفي، ٢١ .

فالإلزام بحدود الله في هذه المساحة أفضل الأعمال وهو الورع والتقوى[١] .

٨- القرآن شفاء :

يقصد به أنّ القلوب قد تنحرف عن حالة السلامة فتفقد سلامتها فلا تستطيع أن تقوم بدورها ، وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام "أنّ للجسم ستة أحوال صحة ومرض وموت وحياة ونوم ويقظة "، وكذلك الروح فحياتها علمها وموتها جهلها ، ومرضها شكها وصحتها يقينها ونومها غفلتها ويقظتها ذكرها ، أي تحيى القلوب بالعلم وتموت بالجهل[٢]، قال تعالى:" يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور"[٣] .

وقد قال أمير المؤمنين. واعلموا إنّه شافع مشفع وقائل مصدق ، وإنّه من شفع له القرآن شفع فيه ، ومن محل به القرآن يوم القيامة صدق عليه فإنّه ينادي منادى أنّ كل حارث مبتلى في حرثه وعاقبة عمله غير حرثة القرآن[٤] .

٩- آيات القرآن خزائن العلم :

روي عن الإمام السجاد عليه السلام إنّه كان يقول : "آيات القرآن خزائن العلم كلما فتحت خزانة ينبغي أن تنظر فيها" ، فآيات القرآن خزائن العلم والمعرفة ، وهذه الخزائن مستورة عن عيون الناس لا ينالها الإنسان بالمال والبضاعة بل بالتعب والجهد فهذه الخزائن في العمق الفكري لكل آية من كتاب الله[٥] .

وتجارة الإنسان مع الله بين الأخذ والعطاء فكلما تلقى الإنسان من الله نور وهدى رفعه الى الله ، وبين هذا التقى من الله والرفع تجارة الإنسان قال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم"[٦] .

(١) المذهب التاريخي للقرآن ، الآصفي، ٢٠٩
(٢) وعي القرآن، الآصفي، ٥٧
(٣) سورة يونس ، الآية : ٥٧.
(٤) نهج البلاغة، ٩٢
(٥) وعي القرآن، الآصفي، ٦٦.
(٦) سورة الصف ، الآية : ١٠

والله يشتري من عباده ما وهبهم وهي تجارة لن تبور فيتلقى الإنسان من الله الرحمة والنور[١] .

١٠- القرآن القول الفصل :

من خصائص كتاب الله تعالى إنّه قول فصل ، والكلمة الحاسمة ، والفرقان في حياة الناس ، والتمييز بين الخير والشر ، والحق والباطل ، والذين يؤتيهم الله بصيرة ونور لا يختلط لديهم الحق والباطل ولا تلتبس عندهم الخطوط ، ويمكنهم كتاب الله من فرز الحق والباطل ، ومن أسماء القرآن الفرقان ، وهو الفارق بين الحق والباطل[٢] ؛ لقوله تعالى:" تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا"[٣].

ولذلك فالقرآن عبر الصورة التي يرسمها في الصراع الدامي والمعركة المصيرية بين الأنبياء وأئمة الكفر، وما يستتبع هذا الصراع من معاناة وآلام ومتاعب يرسم السنن الإلهية للمعركة الدائمة ، وهو النصر الإلهي للأنبياء وهذا يوعز بالأمن والاطمئنان والثقة في النفس أنّ الله يريد أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ، واستعراض السنن في جو الصراع يهيئ لهم مواضع أقدامهم في هذه المسيرة[٤] .

١١- القرآن يثبت الأفئدة :

في الحقيقة إنّ النفوس قد يسرع إليها ضعف الإنسان عند مواجهة الحوادث والكوارث والابتلاءات في ساحة الصراع ومواجهة الطاغوت ، وقد تهتز النفوس الثابتة فتضعف فيجد الشيطان طريقا لها عن طريق ضعف فيها فيعمل القرآن على منحها إيمانا ثابتا ، ويقينا بتأييد الله ونصره للقلة المؤمنة في صراعها مع أولياء الشيطان ، ويمنحه الرؤية الربانية ضد وساوس الشيطان وإغراءاته[٥].

(١) الكلمة الطيبة، الآصفي، دار المشرق، النجف، ٢٠٠٩، ط٤، ٢٦.
(٢) وعي القرآن، الآصفي، ٧٨
(٣) سورة الفرقان ، الآية : ١
(٤) الانشراح، الآصفي، دار المشرق للنشر، النجف، ٢٠٠٨، ط٤، ٥٠.
(٥) وعي القرآن، الآصفي، ٥٧.

وحيث أنّ ذلك يستتبع أن يكون القلب ثابتا ومسلما تسليما مطلقا لله تعالى ، وهذا الإيمان يقترن بحب الله حبا يفوق كل حب فيحب في الله ويكره في الله[١] .

المبحث الثاني

التفسير الروائي ومكانته عند العلامة الآصفي

التفسير هو تبيين وإيضاح المقصود من الكلام ، فإنّ الكلام منها هو واضح ومنه ما يحتاج إلى توضيح ويتلقاه القارئ والمستمع ويفهمه دون شرح واضح ، والنوع الثاني يحتاج إلى تقديم شرح وتفسير لكلام الله ؛ ليفهمه الناس حق الفهم وهذه الحاجة أساس علم التفسير، وللتفسير ضربين من الرأي في طرفي الإفراط والتفريط فقد يتصور بعض العلماء أنّ النص القرآني لما كان نازل بلغه العرب وكان الصحابة في حياة الرسول ، والمسلمون من بعده يتلقونه ويفسرونه بيسر بدون تعقيد ، والرأي الآخر تتبناه بعض الطوائف إزاء التفسير القرآني وعدم حجية ظواهر القرآن ، واحتجوا على ذلك بجمله روايات وأحاديث وانتهوا إلى النص القرآني الذي لا يمكن فهمه بشكل دقيق إلّا إذا اقترن هذا النص بتفسير دقيق من جانب المعصوم[٢]

ويعدّ علم التفسير جزء من علوم القرآن والموضوعات المعدودة في علوم القرآن التي بحاجه إلى تحرير لكثرة التشقيق فيها ، وقد كان التفسير يشمل مفردات القرآن ناسخه ومنسوخه ، وقصص آية من الإسرائيليات وسبب نزوله ، ومبهماته والمعنى الجملي ، وذكر التفسير النبوي والتفسير بالقرآن والتفسير بالسنة وبيان أحكامه ، ولما تنوعت المعارف والعلوم جعل كتب التفسير تفترق في المناهج ، وهذا يعني أنّ كتب التفسير تحوي كثيراً من المسائل والعلوم التي لها علاقة بعلم التفسير ، أو هي من علوم القرآن وهذه التصنيفات مجال خصب لتطبيق هذه المسائل العلمية[٣].

(١) السلام في الإسلام، الآصفي، دار المشرق، ٢٠٠٨، ط٤، ٢٧

(٢) مقدمة البرهان في تفسير القرآن، الآصفي، تح، مؤسسة البعثة في طهران، طهران، ٧

(٣) أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن، الطيار (مساعد بن سليمان)، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢٣، ط٢، ١٢-١٣.

إذا لم تكن ظواهر القرآن الكريم حجة فلا معنى لتعليم الإمام علي ﷺ وجه استفادة كون المسح ببعض الرأس وليس بتمامه بل كان المناسب أن يقول هذه قضية لا ترتبط بك اذ نحن المخاطبون بالقران ، وحيث أنّ النصوص أمرتنا بعرض الروايات حال تعارضها على الكتاب فما وافق منه يؤخذ به ومخالفه يترك ، وهذه الحالة بالنسبة للشروط فإن كان الشرط مخالفا للكتاب الكريم فلا يكون صحيحا ، وهذا يدل لنا أنّ حجية ظاهر القرآن من الأمور البديهية ، ورجحان قراءة القرآن وتكرار القرآن وإلّا فلا نحتمل أنّ الراجح خصوص قراءته من دون تدبر في آياته ، وعلى مستوى لقلقة باللسان وأنّ قراءته مع التدبر ليست راجحة ، والمنهي عنه هو التفسير بالرأي دون مطلق التفسير ؛ لأنه لا يصدق على حمل الظاهر على ظاهره[1].

أولًا : التفسير عند العلامة الآصفي :

نزل القرآن بلسان عربي مبين يفهمه الناس ويعمل به ، ويصرح بهذه العبارة القرآن الكريم قوله تعالى : "وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين " ، والقرآن نور وبرهان وموعظة من الله إلى عباده ، وكيف يكون ذلك دون أن نتلقى ظواهر القرآن بالتأمل والتدبر والفهم ودون أن تكون ظواهره حجة على الناس فالأسباب الموجبة للتفسير إنّه أجمل الكثير من الأحكام والتصورات والمفاهيم، فلا بد لهذا الإجمال من تفصيل وشرح وتبيان لكي يتمكن الاستفادة من النص القرآني ، واستيعاب الصورة للمفهوم وتصور آيات الاحكام[2]

ثانيًا : منهج العلامة الأصفي :

يعدّ العلامة القرآن نور لا يحتاج إلى نور يكشف عنه ، وهو برهان قائم بذاته ولا يحتاج إلى برهان لاتباعه ، وهو بنفسه بيان وبرهان ويقول القرآن لا يحتاج إلى شيء آخر ليفسره ، ويقول تعقيبا على كلمة الإمام علي " القرآن ينطق بعضه بعضا " وعلى عكس تصور الناس

(١) دروس تمهيدية في تفسير آيات الأحكام من القرآن، الأيرواني (باقر)، دار الأولياء بيروت، دار كميل، المنامة، ٢٠٠٤، ط١، ١٠

(٢) كيف نقرأ القران ، الآصفي ، ٢٥١.

عن القرآن إنّه الكتاب الصامت يمكن تأويله وتوجيهه بالطريقة التي يمليها هو على الناس، ولا يفصح هو عن نفسه ويسد الطريق على المتأولين وتفسير المنحرفين ؛ لذلك قال الإمام علي عليه السلام : " إنّ القرآن كتاب ناطق وليس بالصامت"[1]

ويؤيد هذا الاتجاه الطباطبائي ويقول في تفسير الميزان ليس بين آيات القرآن آيّة ذات إغلاق وتعقيد في مفهومها بحيث يتحير الذهن في فهم معناها ، وكيف وهو أفصح الكلام والفصاحة شرطها خلو الكلام عن الإغلاق والتعقيد حتى أنّ الآيات المعدودة منه متشابة بالقرآن كالآيات المنسوخة وغيرها غاية في الوضوح من جهة المفهوم ، وإنما التشابه في المراد منها وهو الظاهر والاختلاف كل الاختلاف في المصداق وتنطبق عليه المفاهيم اللفظية من مفردها ومركبها في المدلولين التصوري والتصديقي.

ثالثًا: تقييم ونقد مآخذ على كتاب البرهان تفسير القرآن.

ذكر العلامة أنّ تفسير البرهان هو خير ما ألفه علماء الشيعة في قوله ، ومن خير ما ألفه علماء الشيعة في هذا المجال أي التفسير المعتمد على الروايات (البرهان في تفسير القرآن) لشيخنا الجليل المحقق العالم السيد هاشم بن السيد سليمان البحراني الكتكاني وأورد فيه آراء لعلماء من مثل يوسف صاحب الحدائق الناضرة في كتابه القيم (لؤلؤة البحرين) ، أنّه كان فاضلا محدثًا وجامعًا متتبعا للأخبار بما لم يسبق له سابق ، له كتب عديدة تشهد بتتبعه واطلاعه ، وهذا الكتاب يجمع ما ورد عن أهل البيت من أحاديث في تفسير القرآن، وبذل المؤلف جهدا كبيرا في جمع وتنظيم هذه الأحاديث من طائفة واسعة من المصادر الروائية[2] .

رابعًا : أسباب النقد للبرهان في تفسير القرآن :

قال العلامة رغم جلالة هذا الجهد العلمي الذي قام به هذا العالم المحدث الجليل إلى أنّ الكتاب يحتوي على طائفة من الروايات الضعيفة في الغلو والتحريف ، وقد تتبعنا هذه الروايات في الكتاب ووجدناها مدسوسة في مختلف مواضع التفسير، فهي متهمة بالوضع

(١) وعي القرآن، الآصفي، ١٠- ١٣.
(٢) كيف نقرأ القرآن، الآصفي، ٣١٦

كالتفسير المنسوب إلى الإمام العسكري ، وقد قال عنه الشيخ محمد جواد البلاغي في مقدمة تفسيره آلاء الرحمن ، وأما التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام فقد أوضحنا في رسالة منفردة في شانه أنّه مكذوب وموضوع وما يدل على ذلك نفس ما في التفسير من التناقض والتهافت بين الروائيين وما يزعمان إنّه رواية ، وما فيه من مخالفة لكتابه المجيد كما أشار إلى أنّه اعتمد على كتاب الشيخ رجب البرسي وهو متهم بالغلو عند علمائنا ، وكتابه فاقدا للاعتبار كما اعتمد على كتاب جامع الأخبار ولا يعرف له مؤلف فضلا عن أسانيد رواياته ، واعتماده على كتاب مصباح الشريعة المنسوب للإمام الصادق وهو كتاب جليل ولكن مؤلفه مجهول ، واعتماده على رواية ضعيفة من حيث السند ويؤثر على القيمة العلمية له[1] .

خامسًا : رأي العلامة في التفسير بالروايات :

قال العلامة لقد دسّ الغلاة أحاديث أهل البيت لاسيما في التفسير، من الأحاديث الموضوعة والمنتحلة ما لا يعلم قدره إلّا الله عز وجل ، ومن شأن هذه الاحاديث الموضوعة والمدسوسة أن تشوش فهم طريقة آل البيت في التفسير، اذا كان المتتبع للروايات غير ملم بها ومع الأسف لم تجري حتى الآن عملية تصفية في حقل الأصول والتفسير في روايات أهل البيت ، ولم يتصدّ لها أحد بجهد علمي مناسب للتصفية والتنقيح[2] ، وبعد هذا الجهد فقط نتمكن من جمع وتنظيم ما روي عن أهل البيت في التفسير واستخراج الخطوط والأصول العامة عندهم في تفسير القرآن ، حيث أنّ الجهد هو المرحلة الأولى فقط من العمل ، والمرحلة الثانية هو تنقيح وتصفية الأحاديث المروية عن أهل البيت وفرز الصحيح من غير الصحيح ، والمرحلة الثالثة هو استخراج الأصول العامة وعند هذه المراحل الثلاثة يمكننا أن نقف على الكنز من أصول التفسير القرآني وخطوطه عند أهل البيت ، ومن دون هذا الجهد من الصعب أن يتمكن أحد من غير ذوي الاختصاص فيقطع برأي محدد في رأي

(١) كيف نقرأ القرآن، ٣١٧
(٢) المصدر نفسه ، ٣٢٠

أهل البيت[١].

المبحث الثالث : مستقبل القوة في القرآن

إنّ الحركة التكاملية التصاعدية التي تؤهل الإنسان لخلافة الله تعالى في الأرض بقوله تعالى : "وإذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة"[٢] .

حيث تمكينه من حمل الأمانة الإلهية في العاملان الأساسيان الإرادة والوعي ، وفيها يتحول الإنسان بصورة مستمرة وتدريجية من القوة إلى الفعل ، وتبرز مع هذه الحركة المواهب والإمكانات التي أوضعها الله تعالى في الإنسان واحدة بعد أخرى ، فقد أودع كنوزا من المواهب والكفاءات والطاقات ، والقيم والوعي ومن الخصال الفاضلة لقوله تعالى:" لقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر"[٣] ، وهذه الحركة الإرادية تتم باختيار الإنسان وإرادته وهي مهمة في تحقيق القيم التي أوضعها الله تعالى في الإنسان ، وحركة الإنسان وكماله ونموه نحو الكمال هي معاناته في تجاوز النقاط السلبية الكامنة في نفسه[٤] .

والإنسان بفطرته ينزع إلى العروج إلى الله تعالى وتحقيق القيم والمواهب والفضائل التي أودعها في نفسه ، ويشير القرآن إلى هذا الكدح والعناء في حياه الإنسان قال تعالى:" يا أيها الإنسان انك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه"[٥] .

وتتفاوت مكانة العبد في القرب والبعد عن الله تعالى فالأعراض والصدود لهما علاقة مباشره بما يكتسبه الإنسان من أخلاق أعداء الله تعالى ، يتعامل مع عباده بالإحسان يغفر لمن يشاء ويضاعف لمن يشاء ، وهو إحسان وعدل والله يقدم الإحسان على العدل والمغفرة قبل العدل ، ومن يطلب بعمله حرث الأخرة يعطيه الله في الآخرة حصاد حرثه في الجزاء ، وقد وعد الله تعالى الذين امنوا أن يؤتيهم أجرهم كفلين ويرزقهم نورا يمشون به في الدنيا ونورا

(١) كيف نقرأ القرآن، ٢٢١
(٢) سورة البقرة ، الآية : ٣٠.
(٣) سورة الإسراء ، الآية : ٧٠
(٤) سنة التعميم في القرآن، الآصفي، ٢٨٥
(٥) سورة البلد، الآية : ٤

يضيء لهم المسار في المحشر، ومن الحقائق التي يقررها القرآن في جزاء الأعمال الصالحة في الآخرة أن يؤتيهم بأعمالهم أحسن الجزاء[١] .

فالتكليف الناشئ عن الميثاق هو الأمانة التي حمّلها الله تعالى للإنسان بقوله:" إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان انه كان ظلوما جهولا"[٢]

والأمانة مشتقة من الأمن ويقال للوديعة أمانة ؛ لأنّ إيداعها في موضع أمين يدعو للاطمئنان عليها ، ولكي يكون الإنسان موضعًا آمنًا لأمانة الله لابد أن يكون حريصا في حفظها ، ولذلك فالتكليف والطاعة عن وعي وإرادة ينميان الإنسان، ويمنحانه الكمال، وتكامل شخصيه الإنسان تزيد قربه من الله تعالى من خلال معاناة التكليف ، وتطويع الغرائز وقصر الهوى والشهوات بالإرادة والوعي ، والميثاق يربط الإنسان بعهد وثيق مع الله تعالى[٣].

فالخطاب التكليفي الإلهي للإنسان يتطلب الاستجابة الطوعية والإرادية لخطاب الله فيما كلفه من أوامر ونواهي ، فقد اختص به الإنسان ونهض وحده دون السماوات والأرض وهذه كرامة خص الله بها الإنسان في أصل تكوينه وخلقه دون غيره لكن الإنسان ظلوم جهول يظلم نفسه ؛ ولذلك فقيمة الإنسان التي يتميز بها هي القدرة على حمل الأمانة ، وأكرم الله تعالى الإنسان بالتقوى وهي المعيار التي فضل الله تعالى الناس بعضهم على بعض فبالتقوى يُحفظ الإنسان عن السقوط في رذائل الأخلاق[٤].

(١) الكلمة الطيبة ، الآصفي، ٢٤٢
(٢) سورة الأحزاب ، الآية : ٧٢
(٣) الميثاق، الآصفي، ١٠٤
(٤) الأصر والأغلال، الآصفي، دار المشرق، النجف، ٢٠٠٨، ٩٧

المبحث الرابع

نماذج من تطبيقات أهل البيت

وقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم " واذا التبست عليكم الأمور كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فإنّه شافع مشفع وماحل مصدق من جعله أمامه قاده إلى الجنة ، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار وهو الدليل يدل على السبيل ، وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل فهو الفصل ليس بالهزل ، وله ظهر وبطن ظاهره حكم الله أنيق له نجوم وعلى نجومه نجوم لا تحصى عجائبه[١] ...

أولًا : فضل القرآن عند أهل البيت : قال الإمام علي عليه السلام:" ثم انزل عليه الكتاب نورا لا تطفئ مصابيحه وسراجًا لا يخبو توقده وبحرًا لا يدرك قعره ، ومنهاجًا لا يظل نهجه، وشعاعًا لا يظلم نوره وفرقانا لا يخمد برهانه ، وتبيان لا تهدم أركانه وشفاء لا تخشى أسقامه ، وعزًا لا تهزم أنصاره فهو معدن الإيمان وبحبوحته"[٢].

وعن الإمام الصادق أنّه قال: " إنّ القرآن حي لا يموت والآية حية كما يجري الليل والنهار وكما تجري الشمس والقمر ويجري على آخرنا كما يجري على أولنا"[٣].

وسُئِل الإمام الصادق عليه السلام: "ما بال القرآن لا يزداد على النشر والدرس إلَّا غضاضة فقال عليه السلام:" لأنّ الله تبارك وتعالى لم يجعله لزمان دون زمان ولا لناس دون ناس فهو في كل زمان جديد وعند كلّ قوم غض إلى يوم القيامة"[٤] .

وعن الرسول صلى الله عليه واله وسلم قال:" لا ينبغي لحامل القرآن أن يرى أحدا من أهل الأرض أغنى منه"[٥].

(١) الكافي ، الكليني، كتاب فضل الصلاة ، ٥٩٨

(٢) نهج البلاغة. ٩١

(٣) تفسير العياشي ، العياشي (محمد بن مسعود)، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٩٩١، ٢٨٨

(٤))عيون أخبار الرضا، الصدوق (محمد بن علي)، تح، مهدي الحسيني الأجودي، دار العلم، قم، ١٣٧٧هـ. ٨٧

(٥)بحار الأنوار ، المجلسي، ٩٢ / ١٩٢

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: " يدعى بني ادم للحساب فيتقدم القرآن أمامه في أحسن صوره فيقول يا رب أنا القرآن وهذا عبدك فقد كان يتعب نفسه في تلاوتي ، ويطيل ليله بترتيلي وتفيض عيناه اذا تهجد فارضه عني كما أرضاني"[١] .

ثانيًا : العقل عند أهل البيت :

جاء في حديث عن الكراجكي رفعه إلى النبي أنّه قال: لكل شيء آلة وآلة المؤمن وعدته العقل ، ولكل شيء مطية ومطية المرء العقل ، ولكل شيء غاية وغاية العبادة العقل ، ولكل قوم راع وراعي العابدين العقل ، ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل ، ولكل خراب عمارة وعمارة الآخرة العقل، ولكل سفر فسطاط يلجؤون إليه وفسطاط المسلمين العقل[٢] .

وقال الإمام الصادق عليه السلام: العقل جيش الرحمن والهوى قائد جيش الشيطان ، والنفس متجاذبة بينهما أيهما غلب كانت في حيزه"[٣].

ثالثًا : التفسير عند أهل البيت :

دخل قتادة بن دعامة على أبي جعفر عليه السلام فقال: " يا قتادة أنت فقيه أهل البصرة فقال هكذا يزعمون ، فقال أبو جعفر عليه السلام بلغني انك تفسر القرآن فقال له قتادة نعم فقال أبو جعفر عليه السلام : ويحك يا قتادة إن كنت قد فسرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلكت، وإن كنت فسرته من الرجال فقد هلكت وأهلكت ويحك يا قتاده إنّما يعرف القرآن من خوطب به"[٤] .

(١) الكافي ، الكليني، ٤٤٩
(٢) كنز الفوائد ، الكراجكي (محمد بن علي)، بيروت. ١٩٩.
(٣) غر الحكم ، دفتر التبليغات الإسلامية ، الآمدي (عبد الواحد بن محمد)، ١٣٦٦هـ، ٤٩.
(٤) دروس تمهيدية في تفسير آيات الأحكام ، الأيرواني ، ٣٠.

رابعًا : شفاعة القرآن عند آل البيت :

قال الإمام الصادق عليه السلام : " يدعى بابن آدم للحساب فيتقدم القرآن أمامه بأحسن صورة فيقول يا رب أنا القرآن وهذا عبيدك فقد كان يتعب نفسه في تلاوتي ويطيل ليله بترتيلي وتفيض عيناه إذا تهجّد، فأرضه كما أرضاني"[1]

النتائج

- نشأ الشيخ الآصفي في النجف الأشرف وكانت دراسته الابتدائية والمتوسطة والإعدادية فيها، ودراسته الجامعية كانت بين النجف وبغداد، ولكن بعد دراسته الابتدائية دخل الحوزة العلمية في النجف الأشرف ، وأخذ يجمع بين الدراستين الحوزويّة والأكاديمية معًا.

- وقد ألقى دروسًا في البحث الخارج فقهًا، وأصولًا في حوزة قم بما يتجاوز العشر سنوات كما مارس في النجف الأشرف التدريس في الفقه والأصول والتفسير على المستوى نفسه ، وكان كثير المحاضرات والدروس الأخلاقية والتربوية والحركية للشباب الدعاة وغيرهم في كل موقع يحل فيه.

- ترك الفقيد آية الله الشيخ محمد مهدي الآصفي رحمه الله تراثًا واسعًا عبر جهوده العلمية في تفسير القرآن الكريم وله كثير من المؤلفات منها ثلاثون مؤلفًا مطبوعًا في كثير من مجالات العلم والمعرفة.

- القيمة الحقيقية للدعوى تستند إلى برهان صحيح ونلتمس تلك الدعوى من القرآن إلى تقديم البرهان التام ولا شك أنّ مساحة النظر والتدبر واسعة سهلة المعارف والمواقف ويوجد أثرين أحدهما عام عموم النص القرآني واستهداف ظاهرة العقل المقلد والمتابع، والأثر الثاني الخاص وهو التقليد الأعمى لأشخاص استقروا في النفوس فوقع تلاشي للعقل إلى جانبه وأثره في النظر والتفكر.

(١) الكافي ، الكليني، ٤٤٩

– يعدّ العلامة القرآن نور لا يحتاج إلى نور يكشف عنه وهو برهان قائم بذاته ، ولا يحتاج إلى برهان لاتباعه وهو بنفسه بيان وبرهان ، ويقول القرآن لا يحتاج إلى شيء آخر ليفسره ويقول تعقيبا على كلمة الإمام علي " القرآن ينطق بعضه بعضاً " وعلى عكس تصور الناس عن القرآن إنّه الكتاب الصامت يمكن تأويله وتوجيهه بالطريقة التي يمليها هو على الناس ، ولا يفصح هو عن نفسه ويسد الطريق على المتأولين وتفسير المنحرفين ؛ لذلك قال الإمام علي ﷺ : " إن القرآن كتاب ناطق وليس بالصامت"

– إنّ تفسير البرهان من وجهة نظر العلامة هو خير ما ألفه علماء الشيعة في قوله ومن خير ما ألفه علماء الشيعة في هذا المجال أي التفسير المعتمد على الروايات (البرهان في تفسير القرآن) لشيخنا الجليل المحقق العالم السيد هاشم بن السيد سليمان البحراني الكتكاني.

– قال العلامة رغم جلالة هذا الجهد العلمي الذي قام به هذا العالم المحدث الجليل إلى أنّ الكتاب يحتوي على طائفة من الروايات الضعيفة في الغلو والتحريف ، وقد تتبعنا هذه الروايات في الكتاب ووجدناها مدسوسة في مختلف مواضع التفسير، فهي متهمة بالوضع كالتفسير المنسوب إلى الإمام العسكري ، وقد قال عنه الشيخ محمد جواد البلاغي في مقدمة تفسيره آلاء الرحمن.

– ورد الميثاق والعهد عند العلامة بمعنى واحد حيث عرف الميثاق إنّه عهد بين العبد وبين الله تعالى يعترف العبد فيه لله تعالى بالربوبية ويشهد على نفسه بالعبودية ، ويلتزم بموجب الميثاق بالطاعة ، والميثاق من الوثاق والشد والربط وكأن هذا الميثاق يشد الإنسان ويربطه بالالتزام بالطاعة والأحكام والأوامر والحدود التي حددها الله تعالى لعباده.

– إنّ الخطاب التكليفي الإلهي للإنسان يتطلب الاستجابة الطوعية والإرادية لخطاب الله فيما كلفه من أوامر ونواهي ، فقد اختص به الإنسان ، ونهض وحده دون السماوات والأرض وهذه كرامة خص الله بها الإنسان في أصل تكوينه وخلقه دون غيره لكن الإنسان ظلوم جهول يظلم نفسه ؛ ولذلك فقيمة الإنسان التي يتميز بها هي القدرة على حمل الأمانة.

– تظهر مبادئ الفكر السياسي ومظاهره في فكر العلامة الآصفي عبر المقالات الكثيرة الّتي نشرها العلامة الآصفي محاولًا وضع تأصيل معيّن للمرحلة، فقد كان العلامة مفكرًا سياسيًا وعالمًا تقيًّا.

– كان للشّيخ الآصفي اسهامات كبيرة في دعم الحركة القرآنيّة ، وتشجيع مؤسسات حفظ القرآن الكريم وتكريم الشباب الموهوبين.

المصادر و المراجع

١. القرآن الكريم

٢. الإسلام عقيدة وشريعة ، شلتوت (محمود)، دار العالم العربي، د. م، ٢٠١٨، ٣٩٩

٣. الأصر والأغلال، الآصفي، دار المشرق، النجف، ٢٠٠٨ .

٤. الانشراح، الآصفي، دار المشرق للنشر، النجف، ٢٠٠٨، ط٤ .

٥. أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن، الطيار (مساعد بن سليمان)، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢٣، ط٢ .

٦. بحار الأنوار، المجلسي، دار ٱحياء التراث، د. م.

٧. البيان في مباحث من علوم القرآن، غزلان (عبد الوهاب عبد المجيد)، دار التأليف، مصر.

٨. تفسير العياشي، العياشي (محمد بن مسعود)، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٩٩١ .

٩. دروس تمهيدية في تفسير آيات الأحكام من القرآن، الأيرواني (باقر)، دار الأولياء بيروت، دار كميل، المنامة، ٢٠٠٤، ط١.

١٠. السلام في الإسلام، الآصفي، دار المشرق، ٢٠٠٨، ط٤ .

١١. سنة التعميم في القرآن، الآصفي .

١٢. الصحيفة السجادية، منشورات دار الكرم، دمشق، دعاء رقم ٤٢

١٣. عيون أخبار الرضا، الصدوق (محمد بن علي)، تح، مهدي الحسيني الأجودي، دار العلم، قم، ١٣٧٧هـ.

١٤. غرر الحكم، دفتر التبليغات الإسلامية، الآمدي (عبد الواحد بن محمد)، ١٣٦٦هـ.

١٥. الكلمة الطيبة، الآصفي، دار المشرق، النجف، ٢٠٠٩، ط٤ .

١٦. كنز الفوائد، الكراجكي (محمد بن علي)، بيروت .

١٧. المذهب التاريخي في القرآن، الآصفي، المشرق للثقافة والنشر، النجف الأشرف، ٢٠٠٩، ط٤،

١٨. المستصفى من علم الأصول، الغزالي (محمد بن محمد)، تح، أحمد زكي حماد ، د. د، د. م

١٩. مقدمة البرهان في تفسير القرآن، الآصفي، تح، مؤسسة البعثة في طهران، طهران .

٢٠. الموافقات، الشاطبي (ابراهيم بن موسى)، تح ، بكر بن عبد الله، دار ابن عفان، القاهرة .

٢١. موجز في علوم القرآن، العطار (داود)، دار الأعلمي، بيروت، ١٩٩٥، ط١٥

٢٢. نهج البلاغة، تح، محمد عبده، دار الكرم، دمشق.

٢٣. وعي القرآن، الآصفي (محمد مهدي)، دار القرآن الكريم، قم، ١٤١١ه، ط١.